ضئيلة، أما النسبة الكبرى فهي تلك العجينة من العناصر المتناقضة التي كانت كامنة في تلك النطفة التي منها تكون[22].

وهنا يجدر بنا أن نتساءل: ما هي مكونات شخصية الحكيم؟ هل هي أمه وابوه؟ هل هي مجرد تركيب جديد منهما؟.. ويحيينا توفيق الحكيم نفسه بأن شخصية الإنسان لاتتكون مما يرثه عن أبويه وأجداده من الميول النفسية، والمظاهر البيولوجية فحسب، وإنما هناك قدر من الحرية التي تسمح لهذا الإنسان أن يسهم في بناء شخصيته، وأن يفلت - إلى حد ما - من حناق الوراثة.

وهذه الحرية هي حرية الفكر الذي يقاوم الموروث ويخلق المكتسب. ويقول الحكيم في هذا المجال: «حريتي هي تفكيري. أنا سجين في الموروث، حر في المكتسب. وماشيدته بنفسي من فكر وثقافة هو ملكي، وهو ما أختلف فيه عن أهلي كل الاختلاف. ها هنا مصدر قوتي الحقيقية التي بها أقاوم. نعم، تفكيري وتكويني الفكري. هنا كل حريتي.. الإنسان حر في الفكر سجين في الطبع..»[23].

وبعد، فالذي يهمنا الآن هو أن نخلص إلى أن هذه الموروثات التي تحدثنا عنها لعبت دوراً لايستهان به في توجيه آراء الحكيم في المرأة، فإطالة التفكير، والصمت، والسرحان، ميزات نفسية أجبرته على أن يميل إلى العزلة بشكل غريب، فيشعر بانتظام تنفسه، واتساع صدره كلما كان منغمساً في أحضان الوحدة، بل إنه يرى أن مجرد الاختلاط مع الآخرين والاجتماع بهم، ولو كان هؤلاء الآخرون ممن يروقه مجلسهم، أصبح أمراً يشق على نفسه، ويعد من الأهوال[24].

وحب الحكيم للعزلة على هذا النحو أدى به إلى الابتعاد عن الحياة الاجتماعية الواسعة بكل ما يصطرع فيها من خير وشر وتجارب إنسانية، وإلى الانطواء على نفسه، ينظر فيها، ويحلل مشكلاتها، حتى أنه أصبح يرهب الحياة الخارجية كما ورد على لسانه: «لم يتح لي في لحظة من لحظات حياتي